

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

**سؤال:**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أرجو من حضرتكم أن تبيينوا لي هل أن معاوية ابن ابي سفيان نلغنه أو نترضا عليه وما هي أدلتكم على ذلك؟ جزاكم الله خيراً ونفعنا بعلمكم.

**الجواب:**

**اعتقاد عدالة الصحابي الجليل معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه وفضلهم هو مذهب أهل السنة والجماعة**

اعتقاد عدالة الصحابة وفضلهم هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وذلك لما أثنى الله تعالى عليهم في كتابه ، ونطقت به السنة النبوية في مدحهم ، وتواتر هذه النصوص في كثير من السياقات مما يدل دلالة واضحة على أن الله تعالى حباهم من الفضائل ، وخصهم من كريم الخصال ، ما نالوا به ذلك الشرف العالي ، وتلك المنزلة الرفيعة عنده ؛ وكما أن الله تعالى يختار لرسالته المحل اللائق بها من قلوب عباده ، فإنه سبحانه يختار لورثة النبوة من يقوم بشكر هذه النعمة ، ويليق لهذه الكرامة ؛ كما قال تعالى : **" اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ "** . [الأنعام ، 124] .

قال ابن القيم رحمه الله : **" فالله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته أصلاً وميراثاً ؛ فهو أعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيؤديها إلى عباده بالأمانة والنصيحة ، وتعظيم المرسل والقيام بحقه ، والصبر على أوامره والشكر لنعمة ، والتقرب إليه ، ومن لا يصلح لذلك ، وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لورثة رسوله والقيام بخلافتهم ، وحمل ما بلغوه عن ربهم "** . " طريق الهجرتين "

وقال تعالى : " **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** " [الأنعام، 53]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : " الذين يعرفون النعمة ، ويقرون بها ، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح ، فيضع فضله ومنتها عليهم ، دون من ليس بشاكر . فإن الله تعالى حكيم ، لا يضع فضله ، عند من ليس له أهل " .

وكما جاءت الآيات والأحاديث بفضلهم وعلو منزلتهم ، جاءت أيضا بذكر الأسباب التي استحقوا بها هذه المنازل الرفيعة ، ومن ذلك قوله تعالى :

" **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** " [الفتح، 29].

ومن أعظم موجبات رفعة مكانة الصحابة ، ما شهد الله تعالى لهم من طهارة القلوب ، وصدق الإيمان ، وتلك شهادة عظيمة من رب العباد ، لا يمكن أن ينالها بشر بعد انقطاع الوحي .

وما أحسن ما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات ؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ؛ أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة ؛ أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " رواه ابن عبد البر في الجامع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ . " رواه البخاري ومسلم

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " رواه البخاري ومسلم

يقول الخطيب البغدادي رحمه الله في "الكفاية":

"على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء ، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد ، والنصرة ، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد ، و المناصحة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين ، القطع على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبدأ الأبدية ، هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يعتد بقوله من الفقهاء . "

و يقول ابن مسعود رضي الله عنه :

"إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ " رواه أحمد في "المسند" .

ولكن لا بد أن نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم ليسوا بمعصومين ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وإنما هم بشرٌ يجوزُ عليهم ما يجوزُ على غيرهم .

وما صدر من بعضهم من المعاصي أو الأخطاء، فهو إلى جانب شرفِ الصحبة وفضلها مُعْتَفَرٌ وَمَعْفُورٌ عن صاحبه، والحسنات يُذْهِبُ السيئات، ومقامُ أَحَدِ الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم لحظة من اللحظات في سبيل هذا الدين لا يعدلها شيء .

يقول ابن تيمية رحمه الله : " وأهل السنة تحسن القول فيهم وترحم عليهم وتستغفر لهم ، لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب وعلى الخطأ في الاجتهاد إلا لرسول الله ، ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب والخطأ ، لكن كما قال تعالى : **" أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ "** [الاحقاف،16] ، وفضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها لا بصورها " "مجموع الفتاوي" .

وقد قرر ذلك الكتاب والسنة في أكثر من موقف :

فقد تجاوزَ الله سبحانه وتعالى عن تولى يوم أُحُدٍ من الصحابة ، فقال سبحانه وتعالى : **" إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ "** [آل عمران،155]

ولما أذنب بعض الصحابة حين أخبر قريشا بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم بالجيش عام الفتح ، وهَمَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتله ، قال صلى الله عليه وسلم : " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ ؟ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ." رواه البخاري ومسلم

وغير ذلك من المواقف التي وقع فيها بعض الصحابة بالمعصية والذنب ، ثم عفا الله تعالى عنهم ، وغفرها لهم ، مما يدل على أنهم يستحقون الفضل والشرف ، وأنه لا يقدر في ذلك شيء مما وقعوا فيه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته ، فإن الآيات السابقة في فضلهم وتبشيرهم بالجنة ، أخبار لا ينسخها شيء . والله تعالى أعلم .

أما فيما يخص معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه :

1. فالجمع بين " معاوية ابن أبي سفيان " وابنه " يزيد " بحكم واحد هو خلل عظيم ، وحكم جائر . فمعاوية صحابي جليل ، يترضى عنه أهل السنة ، ولم يحصل منه قتل لأهل البيت ، ولا قتال لهم ، بخلاف ابنه يزيد ، فهو ليس صحابياً ، وهو الذي كان في خلافته قتل الحسين رضي الله عنه ومن معه من أهله ، ومن أهل السنة من يلعنه ...

2. معاوية رضي الله عنه كان صحابياً جليلاً ، وهو من كتّاب الوحي ، ومن الفقهاء – كما شهد له ابن عباس - ، وقد شهد له كبار علماء أهل السنة بالفضل والعدل .

أ. فقد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله أيهما أفضل : معاوية بن أبي سفيان ، أم عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر بألف مرة ، صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمع الله لمن حمده ، فقال معاوية : ربنا ولك الحمد ، فما بعد هذا ؟ . " وفيات الأعيان " لابن خلكان.

ب. وعن الجراح الموصلي قال : سمعت رجلاً يسأل المعافى بن عمران فقال : يا أبا مسعود ؛ أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان ؟ فرأيته غضباً شديداً ، وقال : لا يقاس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد ، معاوية رضي الله عنه كاتبه وصاحبه وصهره وأمينه على وحيه عز وجل . " الشريعة " للأجري .

ج. قال ابن تيمية رحمه الله :

فإن معاوية ثبت بالتواتر أنه أمره النبي صلى الله عليه وسلم كما أمر غيره ، وجاهد معه ، وكان أميناً عنده يكتب له الوحي ، وما اتهمه النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة الوحي ، وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال ، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه ، ولم يتهمه في ولايته .  
" مجموع الفتاوى "

3. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة التي حصلت بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما ، وشهد للطائفتين بالإيمان ، والحق ، وإن كانت الشهادة لعلي رضي الله عنه ومن معه أنهم أقرب للحق ، لكن لم يشهد لمعاوية ومن معه بالباطل ، بل كانوا متأولين في طلبهم للحق ، وهو المطالبة بالاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه .

أ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِتْنَانِ دَعَاؤُهُمَا وَاحِدَةٌ " . رواه البخاري ومسلم.

ب. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ " . رواه مسلم .

قال ابن تيمية رحمه الله :

فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلتا الطائفتين المقتلتين - علي وأصحابه ، ومعاوية وأصحابه - على حق ، وأن علياً وأصحابه كانوا أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه ؛ فإن علي بن أبي طالب هو الذي قاتل المارقين وهم " الخوارج الحرورية " الذين كانوا من شيعة علي ، ثم خرجوا عليه ، وكفروه ، وكفروا من والاه ، ونصبوا له العداوة ، وقتلوه ومن معه. " مجموع الفتاوى "

وقال ابن كثير رحمه الله:

فهذا الحديث من دلائل النبوة ؛ إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه : الحكم بإسلام الطائفتين - أهل الشام ، وأهل العراق - ، [...] وفيه : أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة : أن علياً هو المصيب ، وإن كان معاوية مجتهداً ، وهو ماجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الإمام ، فله أجران ، كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن

العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر. ". " البداية والنهاية "

4. ولم يكن قتال معاوية لعلي رضي الله عنهما من أجل الخلافة و الملك، بل كان من أجل المطالبة بقتلة عثمان رضي الله عنه للاقتصاص منهم، وكان علي رضي الله عنه يرى أن ذلك لا يكون إلا بعد تثبيت الخلافة.

فلم يكن معاوية يُكُنُّ لأهل البيت العداوة و البغضاء ، وإنما شأنه شأن سائر الصحابة رضي الله عنهم من تقدير أهل البيت ، وإنزالهم منزلتهم التي تليق بهم ، وقد نقل ابن كثير في " البداية والنهاية " عن المغيرة قال : " لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته : أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال : ويحك إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقهِ والعلم . "

5. كان حكم معاوية للمسلمين بإجماع الصحابة رضي الله عنهم ، ولم يكن أحد يخالفه فيها ، مع الإقرار بوجود من هو أفضل منه .

قال ابن حزم رحمه الله:

فبإجماع الحسن ، ثم سلم الأمر إلى معاوية ، وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منهما ، بلا خلاف ، ممن أنفق قبل الفتح وقاتل ، فكلهم - أولهم عن آخرهم - بايع معاوية ، ورأى إمامته ، وهذا إجماع متيقن ، بعد إجماع على جواز إمامة من غيره أفضل ... " الفصل في الملل والأهواء والنحل " .

6. لا يشترط للمتولي الخلافة أن يكون أفضل الناس ، بل للمفضول أن يتولى مع وجود الفاضل ، ثم إن الأمر مع معاوية رضي الله عنه كان مختلفاً ، حيث تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة لصالح معاوية رضي الله عنه ، وبايعه الصحابة أجمعون بالخلافة ؛ فتحققت بذلك نبوءة النبي صلى الله عليه في الثناء على الحسن رضي الله عنه ، وأن الله يصلح به بين طائفتين من المسلمين .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ : " ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " . رواه البخاري .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وفي هذه القصة من الفوائد : علم من أعلام النبوة ، ومنقبة للحسن بن علي ؛ فإنه ترك الملك لا لِقَلَّة ولا لِنِذْلَة ولا لِعِلَّة ، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين ، فراعى أمر الدين ، ومصصلحة الأمة .

وفيها: رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه، ومعاوية ومن معه، بشهادة النبي صلى الله عليه و سلم للطائفتين بأنهم من المسلمين...

وفيه : ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل ؛ لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد في الحياة ، وهما بدرين ، قاله بن التين .

وفيه: جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين. " فتح الباري " .

والحاصل ، علينا أن نعتقد أن معاوية رضي الله عنه ، صحابي جليل ، و لا ننسى أن الله قد فتح على يديه وفي زمانه بلداناً ، ودخل بسبب ذلك في دين الله أفواج من الناس .

و لذلك نختم بما نقله سيدي علي حرازم رضي الله عنه في "جواهر المعاني" عن سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه :

" سألته رضي الله عنه عن تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه عن القطب من غير الصحابة فأجاب : الراجح تفضيل الصحابي على القطب بشاهد قوله صلى الله عليه و سلم : " إن الله اصطفى أصحابي على سائر العالمين سوى النبيين و المرسلين " ، و قوله صلى الله عليه و سلم : " لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه . " و هذا من شدة اعتناء الله بنبيه صلى الله عليه و سلم ... "

و قال سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه و في موضع آخر من "جواهر المعاني" :

كل واحد من الصحابة الذين بلغوا الدين مكتوب في صحيفته جميع أعمال من بعده من وقته إلى هذه الأمة، فإذا فهم هذا ففضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم... ثم ضرب مثلاً رضي الله عنه لعمل الصحابة مع غيرهم : " عملنا معهم كمشي النملة مع سرعة طيران القطة " - أي الصقر - .

فلنحسن الظن إذن بكل الصحابة رضي الله عنهم ومن بينهم الصحابي الجليل معاوية ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه و الله هو ولي التوفيق و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

و في الختام لك من فضيلة الشيخ محمد المنصور المحي الدين التجاني حفظه الله و من جميع الفرقة القائمة على الموقع أعطر تحية و أزكى سلام .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

فرنسا : 2 ماي 2012

إدارة الموقع الرسمي للطريقة التجانية : " Tidjaniya . com "

